Dini Araştırmalar, Temmuz - Aralık 2017, Cilt : 20, Sayı: 52, ss. 75-97
DOI: 10.10.15745/da.358265
Gönderim Tarihi: 07.11.2017 - Kabul Tarihi: 02.12.2017

تغير المعنى الزمني داخل الجملة العربية
دراسة لغوية في تفسير البيضاوي

Ahmet Hamdi CAN* - Betül CAN - Emad ALY*****

الملخص

يدرس هذا البحث الزمن في الجملة اللغوية العربية داخل القرآن الكريم، وتغيّر دلالة هذه الجملة تبعًا للسياق الذي جاءت فيه، تبعًا لأسباب عدة تخدم المعنى الخاص بتلك الظاهرة، ففي اللغة العربية قد يعبر المضارع عن الحاضر والمستقبل، وفي اللغة العربية قد تبدأ الجملة بزمن ثم تنتقل إلى فعل أو زمن آخر، وتغير الزمن من مسبّبات تغيّر المعنى داخل الجملة، فالفعل (جاء) يعبّر عن الزمن الماضي، لكن في قوله تعالى: {إذا جاء نصر الله والفتح ..} (النصر: 1) انتقل التعبير من الزمن الماضي إلى الزمن المستقبل.

ظهر تغيّر الزمن في الجملة اللغوية في العديد من الآيات القرآنية، ويحاول البحث تتبع تلك الآيات القرآنية وتفسيرها من خلال حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، كما سيتتبع البحث هذه الظاهرة من خلال النظر في ترجمة تفسير البيضاوي إلى اللغة التركية، ومتابعة الحواشي عليها؛ من خلال مراجعة ما قيل في "حاشية القونوي على تفسير البيضاوي" ليقدم البحث نظرة جديدة على جهود مترجمي تفسير البيضاوي.

الكلمات المفاتحية : تغير المعنى، تغير الزمن، تفسير البيضاوي، الآيات القرآنية، حاشية القونوي.

* Yrd. Doç. Dr., Karamanoğlu Mehmetbey Üniversitesi Edebiyat Fakültesi. E-posta: ahamdican@kmu.edu.tr.
** Yrd. Doç. Dr., Selçuk Üniversitesi Yabancı Diller Yüksekokulu. E-posta: canbetul@gmail.com.
*** Öğr. Gör. Dr., Karamanoğlu Mehmetbey Üniversitesi Edebiyat Fakültesi. E-posta: emadaly@kmu.edu.tr.

Abstract

The Semantic Change of Tenses in Arabic Sentences: A Linguistic Study on Tafsir of Beydâvî

This study deals with sentence structure on the Qur'an in terms of tenses. Indicators of these sentences are naturally undergo a change during the course. In addition, for some reasons, specific meanings are also placed behind the aspect. The Arabic *muzari* tense expresses present and future tenses. Sentences in the Arabic begin with the tenses then transit to another verb or tense. For some reasons, tense shift causes changes in meaning in the sentence. For example, "جاء / *came*", this verb refers to past time, but in this verse from the Quran: "إذا جاء نصر الله والفتح / *When there comes Allah's (God's) help*" refers to future tense. This verse can be translated in this meaning "When Allah's (God's) help will come". This is due to the use of verb "جاء" in conjunction with preposition "إذا". As mentioned above with the tense shift demonstrate itself in many verses from the Quran. The study in hand analyzes these verses of Quran and the glosses of same verses from Nâsıruddîn Ebi'l-Hayr Abdullah b. Umar b. Muhammed eş-Şirâzî eş-Şâfi'î's writings for *Tafsir of Beydâvi*. Furthermore, the same fact will be evaluated in the Turkish translations of *Tafsir of Beydâvi*, taking into consideration of "Hâşiyetu'l-Konevî 'Alâ Tefsîri'l-Beydâvî" in order to bring a different viewpoint to the subject.

Keywords: Semantic Change, Tense Shift, Tafsir of Beydâvî, Meaning Transportation, Verses of Quran.

البحث

تنوعت طرق التأليف في تفسير كتاب الله عز وجل، ويرجع هذا التنوع إلى كثرة المدارس التي تناولت كتاب الله بالشرح، حيث اختلفت التفاسير تبعاً لاختلاف المدارس التي ينتمي إليها كل مفسِّر، لذلك فقد تعدّدت كتب التفاسير التي تتناول كتاب الله عز وجل بالشرح والتوضيح تعددًا يعكس تنوع الثقافة العربية الإسلامية واتّساعها لتشمل مختلف الثقافات، ومن أهم المدارس التي اهتمت بتفسير كتاب الله عز وجل مدرسة التفسير بالمأثور في مقابل مدرسة التفسير بالرأي،؛ وهي مدرسة اهتمت في تفسيرها لكتاب الله عز وجل بجمع ما قيل عند الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، فالتفسير بالمأثور هو"ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة بيانًا لمراد الله تعالى من كتابه" (الزرقاني 1998: II، 17). وقد استعانت التفاسيربهذه الآثار والأقوال ودونتها واستعانت بها في تفسير كتاب الله عز وجل.

وكما تعددت كتب التفاسير تعددت أيضًا الطرق والغايات الخاصة بكل تفسير؛ فمن التفاسير ما يهتم بالجانب البلاغي، ومنها ما يهتم بشرح المعنى وأسباب النزول، ومنها ما يهتم بالقراءات ومنها ما يهتم بالجانب النحوي واللغوي، ويأتي تفسير "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" للبيضاوي (ت: 685) في مقدمة التفاسير المهمة التي تولّي غايتها صوب الجانب اللغوي في القرآن الكريم؛ حيث جاء على قواعد اللغة العربية، وهو يعد من أهم كتب التفاسير وأعظمها فائدة لذلك تكثر الحواشي والتعليقات عليه، التي منها (حاشية زاده)، وكذلك (حاشية الشهاب)، وهناك (حاشية القونوي)، وغيرها التي منها المطبوع ومنها المخطوط.

ويتبني هذا البحث المنظور النحوي اللغوي في تفسير البيضاوي للقرآن الكريم من خلال النظر إلى العلاقة بين اللغة والنحو والتفسير، فلا يمكن فهم التراكيب واللغة العربية بدون الجانب النحوي واللغوي، ولا يمكن فهم التفسير بدون علوم اللغة والنحو.

والتفسير لغويًا يعني: "الإبانة والتوضيح" (آبادي 2003: II، 110). وفي مختار الصحاح مادة "ف.س.ر": البيان وبابه ضرب، والتفسير مثله، واستفسره كذا؛ أي سأله أن يفسره " الرازي 2002): 503). وفي القرآن الكريم جاء مصطلح التفسير بنفس المعنى السابق، يقول تعالى في سورة الفرقان: وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ

وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (الفرقان:33) والمقصود أحسن بيانًا وتفصيلا وإيضاحًا، الـ سعـ يد : 13) (1991أما عن التفسير اصطلاحًا فقد قال الزركشي عن التفسير إنه: "التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد (ص) وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلى البيان وأصول الفقه والقراءات" (زركشي 2004: II، 107). كما قال أبو حيان الأندلسي عن التفسير أنه: "التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النّطق بألفاظ القرآن الكريم، ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب." (محمد بن يوسف 1992: I، 11). أي أنه محاولة الاجتهاد لمعرفة مقصود كتاب الله تعالى وفهم دلالاته، من خلال التبحّر داخل الآيات القرآنية والسور الكريمة، وفهم ألفاظ القرآن الكريم والمدلولات من خلال النظر لحالة التركيب التي تعود في الأصل إلى علوم النحو واللغة؛ فالكلام عن الأحكام التركيبية والإفرادية يشمل الإعراب والنحو.

يرجع السبب في نشأة علم النحو في الأصل إلى شيوع اللحن بسبب اتّساع رقعة الدولة الإسلامية ودخول مختلف الأجناس إلى دين الله أفواجًا، ونتج عن ذلك اختلاف الألسنة فظهرت الحاجة إلى علم يضبط الألسنة مرة أخرى، فظهر علم النحو؛ ويرجع اسم علم النحو إلى ما روي عن أبي الأسود الدؤلي حين وضع وجوه العربية "قال للناس: انحوه نحوه، فسمي (نحوًا) .. ويعني القصد والطريق" (309 ،2010 :روظنم نبإ). كما قال الجرجاني إن النحو هو"علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء واغيرهما، وقيل النحو علم يعرف به أحوال الكلم من حيث الإعلال، وقيل: "علم بأصول ما يعرف بها صحيح الكلام وفساده" (1990 الـ جرجاني :259). وقد عرّف ابن جني علم النحو بأنه: "انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منها، وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها." (ابن جني: 34) فالهدف في النهاية هو بلوغ الفصاحة ومعرفة وفهم اللسان العربي والنطق باللغة العربية. ولكن المشكلة الكبيرة كانت في انتشار اللحن في القرآن الكريم، فقد "سمع عليٌّ – رضي الله عنه – أعرابيًا يقرأ (لا يأكله إلا الخاطئين) فوضع النحو." (الأنباري 2003:

14) فالأصل في الآية الكريمة أن يقال: {لا يأكله إلا الخاطئون} لكن قرأ الأعرابي بطريقة خاطئة، على أن الروايات التي تحكي قصة وأسباب بداية علم النحو كثيرة ومتعددة.

هنا ظهرت العلاقة بين التفسير والنحو، فعلم التفسير يهدف إلى معرفة كيفية نطق ألفاظ القرآن الكريم، ومعرفة دلالات كتاب الله تعالى وفهم آياته، وعلم النحو يهدف إلى بلوغ الفصاحة وفهم اللغة العربية والنطق بها.

والعلاقة بين علم النحو وعلم التفسير علاقة قديمة؛ حتى إن أكثر الروايات التي تكلمت عن نشأة علم النحو تُرجع سبب ذلك إلى اللحن في القرآن الكريم خاصة وفي اللغة العربية بشكل عام، ومن القصص الشهيرة في هذا أن أبا الأسود الدؤلي ذهب إلى زياد بن أبيه والي العراق من قِبل معاوية بن أبي سفيان وقال له: "إني أرى العرب قد خالطت الأعاجم وتغيرت ألسنتهم، أفتأذن لي أن أضع للعرب كلامًا يُعرفون، أو يقيمون به كلامهم؟ قال: لا، قال: فجاء رجل إلى زياد فقال: أصلح الله الأمير، توفى أبانا وترك بنونًا، فقال زياد: توفى أبانا وترك بنونا ؟ ادع لي أبا الأسود، فقال: ضع للناس الذي نهيتك أن تضع لهم." (1985الـ سـ يرافـ ي : 35). ومن هنا ظهر علم النحو والتأليف فيه، كما ظهرت العديد من كتب التفاسير التي تجتهد لتأويل كتاب الله تعالى وفهم معانيه والمراد من آياته، ويأتي تفسير البيضاوي على رأس تلك التفسيرات.

ظهرت العديد من كتب التفاسير التي قامت بالشرح والتأويل لكتاب الله تعالى لفهم مقصود آياته الكريمة، على أن الحقل اللغوي في حاجة إلى دراسة تقوم على متابعة الحواشي وفهمها والمقارنة بينها، خاصة وأن الكثير من الحواشي قامت على كتب المفسرين، ويأتي تفسير البيضاوي في أوائل التفسيرات التي قامت عليها الحواشي بالشرح والتفسير والإضافة والتحرير.

استمد البيضاوي تفسيره من تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي، ومن تفسير الراغب الأصفهاني، وقد اهتم بالجانب اللغوي والنحوي في عرض التفسير، كما أن أسلوبه اتسم بالإيجاز والاختصار في العرض، وقد عرض البيضاوي للعديد من الظواهر النحوية واللغوية، ومن تلك الظواهر ظاهرة تغير المعني الزمني داخل الآيات القرآنية.

قسّم النحاة الفعل إلى ثلاثة أقسام؛ ماضٍ ومضارع وأمر، ولكن هذا التقسيم لم يكن محل اتفاق بين جميع النحاة، حيث إن صيغة الزمن قد تختلف تبعًا للسياق اللغوي الذي وردت فيه، فهذا التقسيم يهمل السياق الذي جاء فيه الزمن، ولذلك فقد ظهر من اللغويين المحدثين من يقسم الزمن تبعًا للمعنى الإجمالي إلى نوعين هما:

أولاً: الزمن الصرفي.

وهو الزمن الذي تدل عليه الصيغة المفردة خارج السياق.

ثانياً: الزمن النحوي.

أو يسمى الزمن السياقي التركيبي." حـ سان 4991): 240).

فالفعل في صيغته المفردة يأتي ليعبر عن زمن محدد، سواء كان زمن الفعل الماضي أو زمن الفعل المضارع أو زمن المستقبل، لكن نفس الفعل الزمني تتغير دلالته تبعًا للسياق الذي ورد فيه، وهو ما تكلم عنه الكثير من اللغويين في حديثهم عن المعنى المعجمي والمعنى السياقي؛ فالأول هو الذي نقرأه بين دفتي المعجم، وهو معنى الكلمة في حالتها الإفرادية، أما المعنى الثاني فهو يتحدد تبعًا للسياق الذي وردت فيه الكلمة، وبالتالي فهو يتغير بتغير هذا السياق، ومن هذا نفهم أن المعنى المعجمي معنى ثابت لا يتغير، أما المعنى السياقي فهو معنى متغير بل ومتعدد بتعدد السياقات التي ترد فيها الكلمة. وقد وردت هذه الظاهرة في العديد من الآيات القرآنية، لكننا سنحاول متابعة هذه الظاهرة في مجموعة من الآيات التي تعبر عنها داخل السور المختلفة من القرآن الكريم، من مثل قوله عز وجل: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (البقرة: 87)

والفعل المضارع يأتي في العادة للتعبير عن التجدد والاستمرار، لذا يمكن أن نقول إن الفعل المضارع (تقتلون) جاء بصيغة المضارع عوضًا عن الماضي للدلالة على استمرار قتلهم للأنبياء من قبل واستمرار غدرهم إلى الآن.

يقول تفسير البيضاوي: "(ففريقًا كذبتم) كموسى وعيسى عليهما السلام والفاء للسببية أو للتفصيل (وفريقًا تقتلون) كزكريا ويحيى وإنما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارًا لها في النفوس فإن الأمر فظيع ومراعاة للفواصل أو للدلالة على أنكم بعد فيه فإنكم تحومون حول قتل محمد – صلى الله عليه وسلم –لولا أني أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة." (الشيرازي الشافعي: II، 200)

ويقول الشهاب: "(قوله والفاء للسببية أو للتفصيل الخ) لأن ما ذكر نشأ من استكبارهم من اتّباعهم وإن أريد أظهر التكبر بفعل ما لا يليق فهو تفصيل له والأول أولى ولذا قدّم وتقتلون بمعنى قتل آباؤكم فأسند إليهم للرضا به ولِلحوق مَذمّته بهم وعبّر بالمضارع حكاية للحال الماضية واستحضارًا لصورتها لفظاعتها واستعظامها وأما كونه لرعاية الفواصل ولذا قدم مفعوله فوجهه أنه من قبيل المشاكلة للأفعال المضارعة فيما قبله فلا يقال أن التعبير عن الماضي بالمضارع لرعاية الفواصل مما لا يوجد في كتب العربية لكنه لا يبعد عن الاعتبار (قوله أو للدلالة على أنكم مازلتم بعد.. الخ) أي بعد ما مضى والمراد الآن قيل وقوله تقتلون تغليب لدخول محمد – صلى الله عليه وسلم – في هذا الفريق وليس مخصوصًا وقوله لولا أني أعصمه يدل على أنه أراد بالقتل أعم من القتل بالفعل والعزم عليه وهو تكلف لا حاجة إليه لأنه عليه الصلاة والسلام قتل بالسم حقيقة، ويصح استقبال تقتلون بالنظر إلى ما قبله من التكذيب وفيه أن قتل النبي – صلى الله عليه وسلم – لنيل مرتبة الشهادة لم يكن وقت نزول الآية فلا يفيد الحمل عليه دفع، وقصة السحر وسم اليهود له شاة وأكله منها مذكورة في الصحيحين وستأتي الأولى في المعوذتين." (الشيرازي الشافعي: II، 200-201).

ويقول القنوي في حاشيته: "ذكر بلفظ المضارع للاستمرار في الأزمنة الثلاثة لا أنه للحال أو الاستقبال، فهو مجاز أيضًا ولما كان كونه لحكاية الحال الماضية مفيدًا لكمال شناعته ولكون تلك الحال أهم بمشاهدته لغرابته وكمال شناعته قدمه ورجحه وأيضًا الدوران حول القتل غير قتل ويحتاج إلى التمهل في صورة حمله على الاستمرار ومن هذا قيل: ففي قوله تقتلون تغليب لدخول محمد – عليه الصلاة والسلام –في هذا الفريق وليس مخصوصًا به حتى يصح من غير تغليب لأن الفريق لا يحتمل التخصيص به، زموما ذكرناه غير ما قيل

الظاهر أن المراد من قال فيه تغليب هو أنه غلب محمد – عليه السلام –المتوقع قتله في الحال أو الاستقبال على الرسل المقتولين في الماضي، فعبَّر بالصيغة الدالة على الحال والاستقبال عن قتل المجموع فإن ما ذكرناه هو أن القتل لم يقع قط، بل وقع قصد القتل فالتمهل في تعميم تقتلون إلى القتل بالفعل وإلى قصد القتل، وما ذكروه في تعميم القتل إلى القتل في الماضي وإلى القتل في المستقبل، وهذا إنما يتم إذا وقع في المستقبل وليس كذلك." (عمر 2001: IV، 13).

ففعل القتل لم يتم، وإنما تم استخدام الفعل المضارع للدلالة على أن طبيعة الغدر مترسخة فيهم على اختلاف الزمان، واختلاف الأنبياء، كما أن الأفعال تتحول صيغتها من الدلالة على الماضي إلى الدلالة على الاستقبال إذا جاءت بعد (كلما) وهو ما يظهر في قوله تعالى: {كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب} (النساء: 56) كما أن الفعل في هذا الحالة يدل على الاستمرار والتجدد.

وقد ظهر غدر اليهود وخداعهم أيضًا ومحاولتهم الدائمة لقتل الأنبياء والرسل في مواطن كثيرة، فنجد مثالا على تغير المعنى المعجمي في الزمن تبعًا للسياق اللغوي قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} (البقرة: 91)

يقول تفسير البيضاوي: "(وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله) يعم الكتب المنزلة بأسرها (قالوا نؤمن بما أنزل علينا) أي بالتوراة (ويكفرون بما وراءه) حال من الضمير في قالوا، ووراء في الأصل جعل ظرفاً، ويضاف إلى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه، وإلى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه، ولذلك عد من الأضداد.(وهو الحق) الضمير لما وراءه والمراد به القرآن (مصدقًا لما معهم) حال مؤكدة تتضمن رد مقالتهم فإنهم لما كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها (قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين) اعتراض عليهم بقتل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع ادّعاء الإيمان بالتوراة والتوراة لا تسوغه وإنما أسنده إليهم لأنه فعل آبائهم وأنهم راضون به عازمون عليه". (الشيرازي الشافعي: II، 204-205).

ويقول الشهاب: "(قوله يعم الكتب المنزلة بأسرها الخ) فيه دلالة على أن ما بمعنى الذي تفيد العموم لأنه تعالى أمرهم أن يؤمنوا بما أنزل الله فلما آمنوا بالبعض دون البعض ذمهم على ذلك فلولا العموم لما حسن هذا الذم وفيه نظر (قوله حال من الضمير) إما بتقدير وهو يكفرون أو بناء على جواز دخول الواو على المضارع وهو مذهب الزمخشري كما مر ولم يجعله معطوفًا على ما قبله والتعبير بالمضارع لحكاية الحال ولا استئنافًا كما قيل لأن الحال أدخل في رد مقالتهم أي قالوا ذلك مع مقارنته لما يشهد ببطلانه". (الشيرازي الشافعي: II، 204).

وتقول نسخة القنوي: "والتعبير بالمضارع لحكاية حال الماضية في المتعاطفين." (عمر 2001: IV، 28).

وهنا نلاحظ اتفاق حاشية الشهاب مع حاشية القنوي في أن التعبير بزمن الفعل المضارع من قبيل حكاية الحال وليس من قبيل التجدد والاستمرار، الذي ينافي العقل، لأن الموقف حكاية لحدث انتهى، إلا أن أثر الحدث باق، فمازال اليهود على غدرهم وخداعهم، ويدل على هذا محاولتهم قتلهم لرسول الله -صلى الله عليه وسلم -من قبل، وهم مازالوا في غيهم من نقض العهود.

وقريب من هذا فوله تعالى: {إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ} (البقرة: 166).

تقول نسخة البيضاوي: "(إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا) بدل من إذ يرون أي إذ تبرأ المتبوعون من الاتباع وقرئ بالعكس أي تبرأ الاتباع من الرؤساء (ورأوا العذاب) أي رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ (وتقطعت بهم الأسباب) يحتمل العطف على تبرأ أو ورأوا أو الحال والأول أظهر والأسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والإنفاق على الدين والأغراض الداعية إلى ذلك وأصل السبب الحبل الذي يرتقي به الشجر وقرئ تقطعت على البناء للمفعول (وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا) لو للتمني ولذلك أجيب بالفاء أي ليت لنا كرة إلى الدنيا فنتبرأ منهم (كذلك) مثل ذلك الآراء الفظيع (يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم) ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى إن كان من رؤية القلب والإفحال (وما هم بخارجين من النار) أصله وما

يخرجون فعدل به إلى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والإقناط عن الإخلاص والرجوع إلى الدنيا." (الشرازي الشافعي: II، 264-265).

وتقول نسخة الشهاب: "(وقوله والواو للحال الخ) رجح الحالية على العطف لتأديه إلى إبدال رأو العذاب من إذ يرون العذاب وليس فيه كبير فائدة، ولأن الحيق بالاستعظام والاستفظاع هو تبرؤهم في حال رؤية العذاب لا هو نفسه وقيل عليه أن البدل الوقت المضاف إلى الأمرين والمبدل منه الوقت المضاف إلى واحد وليس بينه وبين إبدال الوقت المضاف إلى التبري مقيدًا برؤية العذاب كبير فرق وقوله والأول أظهر لاستقلاله في الاستفظاع والحالية إما من فاعل تبرأ أو رأوا فتكون متداخلة وبامبهم للسببية بتقدير مضاف أي بكفرهم أو الحالية أي ملتبسة وقيل إنها للتعدية واستبعدت الحالية بأن تقطعها ليس في حال تلبسهم بها وفيه نظر (قوله وأصل السبب الخ) قال الراغب في مفرداته السبب الحبل الذي يصعد به النخل ومثل هذه القيود بناء على الأكثر فيها فلا يرد ما قيل أن هذا القيد غير مذكور في كتب اللغة والوصل بضم الواو وفتح الصاد المهملة جمع وصلة بسكونها (قوله لو أن لنا كرة الخ) المراد من النكرة الرجوع إلى الدنيا أي ليت لنا كرة في موضع رفع أي لو ثبت أن الخ ونتبرأ مع أن المضمرة عطف عليه وإنما تمنوا ذلك لأن التبري منهم في الآخرة لم يكن لهذا التمني معنى بل ينبغي أن يكون هذا من المتبوعين على ما قيل أن حقه أن يقرأ وقال الذين اتبعوا على البناء للمفعول واعترض بأن هذا يكون تمنيًا لذل الدنيا بعد ذل الآخرة وفيه نظر ووجه النظر أن ذل الآخرة مشترك بينهما وأنهم بعد ما اتضح الحال لو رجعوا إلى الدنيا لم يتعوهم حتى يتبرأ الرؤساء منهم فلا يليق مثله في النظم وهو ظاهر." (الشرازي الشافعي: II، 264-265).

وتقول نسخة القنوي: "والواو للحال أي لربط الحال وقد مضمرة لأن قد لابد في الماضي المثبت ظاهرة أو مقدر على القول المرجوح من المتبوعين الرؤساء المستكبرين والظاهر أنه حال من الاتباع الشاملة للرؤساء أيضًا كما مر توضيحه و رجّح الحالية لأن الائق بالإستفظاع تبرؤهم في حال رؤية العذاب لا هو نفسه وأيضًا الجامع غير ظاهر وأيضًا في العطف شائبة تكرار إذ يكون بدلا من إذ يرون عذاب فيلزم نوع تكرار وأما في الحالية وإن لزم تكرار لكن بطريق التبعية.

فيكون بدلا من إذ يرون وصيغة المستقبل لما كانت تجري مجرى الماضي لتحققه كان البدل والمبدل منه متحدين في الماضوية تأويلا والمبدل منه والبدل كلاهما مقصودان بالنسبة وليس المبدل منه في حكم السقوط هنا.

أي العطف على تبرّأ أو رأوا أظهر من الحالية عكس ما مر إما لفظا فلأن الأصل في الواو العطف وإما معنى فلإستقلاله في الإستفظاء وأيضًا يحتاج إلى تقدير قد في الحال والسلامة عنه حسبما أمكن حسن والحال إما من فاعل تبرأ أو رأوا فتكون متداخلة وعلى الأول مترادفة هذا إن قيل إن رأوا العذاب حال كما هو المختار وأما إن قيل إنه عطف على تبرّأ فلا يكون الحال كذلك والباء في تقطعت بهم للسببية لكن بتقدير مضاف أي بشركهم واتخاذهم أندادا أي بسبب شركهم الذي كانوا يرجون به النجاة أو للملابسة فيكون حالا عن الأسباب أي تقطعت ملتبسة بهم أو للتعدية أي قطعتهم الأسباب وفيه مبالغة وإنما عدي بالباء دون التضعيف لأنها تفيد الإستصحاب دونه.

لو للتمني حمله على التمني لكونه مجابا بالفاء وإلاّ فأصل معناه هنا صحيح إذ امتناع التبرء لإمتناع الكرة لكن جوابه لم يأت بالفاء الكرة الرجوع إلى الحالة الأولى والمراد الرجوع إلى الدنيا والنون عبارة عن الاتباع والمتبوعين وإنما قيد إلى الدنيا لأن التبرؤ في الآخرة واقع وإنما تمنوا ذلك لأن التبرؤ في يوم القيامة لا يضرهم لأنهم في دهشة عظيمة والتعرف والإلفة بينهم منقطعة فمرادهم بالتبرء الإذلال والتحقير وهذا مؤيد لقراءة {إذ تبرأ الذين اتبعوا} بصيغة المجهول {من الذي اتبعوا} بصيغة المعلوم وأما قراءة العكس فالمعنى لو أنّ لنا كرة فنتبرأ منهم في الدنيا تبرءا مثل تبرؤنا في الآخرة قولهم كما تبرؤوا منا معناه كما تبرأ المتبوعون حين تبرأنا منهم فوضع كما تبرؤوا منا موضع كما تبرأنا في الآخرة إشعارًا بسرعة تبرئهم منهم حين تبرأ المتبوعون منهم حتى كان تبرؤهم من المتبوعين تبرأ المتبوعون منهم وفي حال قوله تعالى {لو يعجل الله للناس الشر استعجالهم}(يونس 11) الآية تفصيل يؤيد ما قلنا هنا فتأمل وكن على بصيرة فإن البعض استصعب حله على قراءة مجاهد، (عمر 2001: IV، 415-418). فالتعبير بصيغة الماضي عوضًا عن المستقبل يأتي في سياق حديث الله تعالى وإخباره بمشاهد يوم القيامة؛ للتأكيد على أن هذا مؤكد الحدوث لا محالة، وللتأكيد على الناس على أن هذه المشاهد هي ما ينتظرهم يوم القيامة.

فالفعل (رأوا) والفعل (تبرأ) جاءا بصيغة الماضي للتنبيه على تحقيق وقوعهما وأن هذا المشهد في موضع اليقين، والقرينة قوله سبحانه في الآية بعد ذلك {كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم} (البقرة: 167) في الزمن المضارع، والزمن المضارع هنا لتجدد العذاب الذي لا ينتهي.

ومن مثل تغير صيغ الزمن في السياق القرآني قوله تعالى: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ} (البقرة: 210).

على الرغم من أن الزمن هنا في كلمة (قضي) هو زمن الفعل الماضي، إلا أن المراد منه المستقبل ويقول تفسير البيضاوي في ذلك: "(هل ينظرون) استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده (إلا أن يأتيهم الله) أي يأتيهم أمر، أو بأسنا أو يأتيهم الله بيأسه فحذف المأتيّ به للدلالة عليه بقوله تعالى أن الله عزيز حكيم (في ظلل) جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما أظلك وقرئ ظلال كقلال (من الغمام) السحاب الأبيض وإنما يأتيهم العذاب فيه لأنه مظنة الرحمة فإذا جاء منه العذاب كان أفظع لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أصعب فكيف إذا جاء من حيث يحتسب الخير (والملائكة) فإنهم الواسطة في إتيان أمره أو الآتون على الحقيقة بيأسه وقرئ بالجر عطفًا على ظلل أو الغمام (وقضى الأمر) أتمَّ أمر إهلاكهم وفرغ منه، ووضع الماضي موضع المستقبل لدنوّه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الأمر عطفًا على الملائكة (وإلى الله ترجع الأمور) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم على البناء للمفعول على أنه من الرجع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث غير يعقوب على أنه من الرجوع وقرئ أيضًا بالتذكير وبناء المفعول." (الشرازي الشافعي: II، 296-297).

وتقول نسخة الشهاب: "نظر هنا بمعنى انتظر والاستفهام إنكاري وهو نفي في المعنى فلذا وقع بعده الاستثناء المفرغ ولما كان الاتيان لا يسند حقيقة إليه أول بأن المراد يأتي حكمه وأمره أو المراد يأتيهم الله بيأسه أي يوصله إليهم لأن أتى قد يتعدى للثاني بالباء فالمأتي محذوف لدلالة ما قبله عليه من التلويح للانتقام وقوله بقوله تعالى إن الله عزيز حكيم بفتح الهمزة على الحكاية ولم يقل فاعلموا أن الله عزيز حكيم لأن الدال عليه وصفه بذلك ولا دخل لقوله اعلموا فيه فلا يرد عليه أن الصواب أن يقال فاعلموا الخ ..." (الشرازي الشافعي: II، 296-297).

وتقول نسخة القنوي "فمقتضي الظاهر المضارع وعن هذا قال وضع الماضي الخ قوله لدنوه الخ علاقة الإستعارة أي شبه النسبة في المستقبل بالنسبة في الماضي في التيقن وعدم إحتمال خلافه فذكر لفظ المشبه به وأريدَ المشبه ولم يحمل علي التغليب لقوله (هل ينظرون) {البقرة: 210} فإنه يقتضي ظاهرا أنه من باب وضع الماضي موضع المستقبل، (عمر 2001: V، 166) حيث إن الظاهر من الآية فهم المعنى في صيغة المستقبل، وهو ما يفهم من سياق الحديث لكن التعبير بالماضي هنا لتحقق الأمور، وأن الأمر كله في ملك الله وفي علمه ويقينه وهو محقق الوقوع ولا مفر منه، وبالتالي يجب الحرص والانتباه.

ومن الأمثلة على هذه الظاهرة قوله تعالى: {وَنَزَعْنَا مَا في صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (الأعراف: 43).

يقول البيضاوي في تفسيره: "لولا هداية الله وتوفيقه، واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على أنها مبنية للأولى (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فاهتدينا بإرشادهم يقولون ذلك اغتباطًا وتبجحًا بأن ما علموه يقينًا في الدنيا صار لهم عيد اليقين في الآخرة (ونودوا أن تلكم الجنة) إذا رأوها من بعيد أو بعد دخولها والمنادى له بالذات (أورثتموها بما كنتم تعملون) أي اعطيتموها بسبب أعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الإشارة أو خبر، والجنة صفة تلكم وأن في المواقع الخمسة هي المخففة أو المفسرة لأن المناداة والتأذين من القول .." (الشيرازي الشافعي: IV، 170). وتقول نسخة الشهاب: "(قوله واللام لتوكيد النفي الخ) هذه هي اللام التي تسمى لام الجحود وتزاد بعد كان المنفية للتأكيد وتفصيلها مذكور في النحو ولم يجعل الجواب ما قبله لامتناع تقدمه على الصحيح والواو حالية أو استئنافية وعلى قراءة إسقاط الواو فالجملة بيانية وهو ظاهر (قوله يقولون ذلك اغتباطًا وتبجحًا الخ) أي من قوله الحمد لله إلى هنا فلا يرد عليه ما قيل إنه لا يلائم قوله فاهتدينا بإرشادهم فإن المقصود بالجملة القسمية على هذا بيان صدق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في وعدهم بالجنة لا تعليل الاهتداء فتأمل، والاغتباط بالغين المعجمة السرور وأن يصير الشخص بحال يغتبط فيها كما في تاج المصادر والتبجح بتقديم

الجيم على الحاء المهملة الفرح فليس قولهم ذلك إلا لاظهار ما ذكر لا للتعبد والتقرب لأن الجنة ليست دار تكليف وعبادة كما قيل." (الشيرازي الشافعي: IV، 170).

يقول القنوي: "أَيْ نَزَعْنَا ماض لفظًا مستقبل معني." (عمر 2001: VIII، 384).

فالحديث هنا عن أهل الجنة في الدار الآخرة، حيث تصف النعيم الذي يتنعمون فيه، ورغم أن المفهوم اللغوي للآية يقول إن هذا الأمر تم في الزمن الماضي، إلا أن المفهوم المنطقي يقول إن هذا ما سوف يحدث في المستقبل، لأنه بطبيعة الحال هذا الأمر لم يتم، وإنما هو وعد الله .. لمن آمن به واتقاه، فالمعنى المعجمي يقول إنّ (نزعنا) فعل للزمن الماضي، إلا أن المعنى السياقي للآية الكريمة يقول إن الفعل هنا جاء ليعبر عن المستقبل، وقد جاءت الأفعال (نزعنا – قالوا) للدلالة على تأكيد وقوع الفعل، وجاء الفعل (تجري) بصيغة المضارع للدلالة على تجدد الجريان والنعيم والاستمرار فيه.

ونلاحظ أن حاشية الشهاب وحاشية القنوي تستكملان من هذه الوجهة فهم ما استشكل من تفسير البيضاوي، حيث لا يوجد شبهة اختلاف، بل الزمن يأتي على حكاية ما سيحدث وهو في علم الله كأنه حدث، كما أن القنوي اكتفى في حاشيته بالتعليق والتأكيد على أن الفعل تتغير صيغته الزمنية بتغير سياقه في الجملة التركيبية، حيث إن الفعل في حالته الإفرادية يختلف عنه في حالته المركبة.

ومن مثل ذلك قوله سبحانه: {وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (الأعراف: 73).

وهنا نلاحظ أن الآية الكريمة بدأت بقوله تعالى (قال – اعبدوا – جاءتكم) لكن بعد ذلك تم العدول إلى الحديث بصيغة الزمن، وإذا نظرنا إلى تفسير البيضاوي نجده يقول معلقًا على الآية الكريمة: "(ولا تمسوها بسوء) نهي عن المس الذي هو مقدمة الإصابة بالسوء الجامع لأنواع الأذى مبالغة في الأمر وإزاحة للعذر (فيأخذكم عذاب أليم) جواب للنهي (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض) أرض الحجر (تتخذون من سهولها قصورًا) أي تبنون في سهولها أو من سهولة الأرض بما تعملون منها كاللبن والآجرّ (وتنحتون الجبال بيوتًا) وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالإشباع وانتصاب بيوتًا على الحال

المقدرة أو المفعول على أن التقدير بيوتًا من الجبال أو تنحتون بمعنى تتخذون." (الشيرازي الشافعي: IV، 183-184).

وتقول نسخة الشهاب: "(قوله نهي عن المس الذي هو مقدمة الإصابة الخ) فهو كقوله ولا تقربوا مال اليتيم إذ المعنى لا تجعلوا الأذى ما سألها ولا يلزم من المجاورة والمس التأثير ألا ترى أنه لا يلزم من مس السكين الجرح والقطع ويلزم من عدم المس عدمه بالطريق الأولى فلا وجه لما قيل أن عليه منعًا ظاهرًا فإن المنهي عنه ليس مطلق المس بل هو المقيد بمقارنة السوء كالنهي في قوله لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى إلا أن يجعل بسوء حالا من الفاعل والمعنى ولا تمسوها مع قصد السوء بها فضلا عن الإصابة (قوله جواب للنهي) أي منصوب في جوابه والمعنى لا تجمعوا بين المس وأخذ العذاب إياكم وأخذ العذاب وإن لم يكن من صنيعهم لكنهم تعاطوا أسبابه وقوله من بعد عاد لم يقل خلفاء عاد مع أنه أخطر إشارة إلى أن بينهما زمانًا طويل وبوّأكم بمعنى أنزلكم ..." (الشيرازي الشافعي: IV، 184).

وعلى الرغم من أننا لم نجد تعليقًا لحاشية القنوي إلا أننا وجدنا حاشية الشهاب تقول إن عدم المس بالسوء ينتج عنه عدم المس بالعذاب، إلا أن التشبيه القائم بين (لا تقربوا مال اليتيم – لا تقربوا الصلاة) و(لا تمسوها بسوء) لا يستقيم في كل الأحوال، فقوله تعالى (ولا تقربوا مال اليتيم) هو قول مفهوم بالضرورة، لأن القول يعني عدم ظلم اليتيم بأخذ حقه وماله في كل الأوقات، لكن قوله تعالى (لا تمسوها بسوء) هو قول لوقت وموقف محدد، إلا أن المعنى يفهم هنا عندما أن السياق جاء لتحذير جميع الأمم بعدم إتيان أسباب غضب الله وعذابه، خاصة وأن القرآن الكريم مليء بقصص الأنبياء والرسل السابقين لأخذ العبرة والعظة.

ومن هذا قوله تعالى: {وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ} (النمل: 87)

يقول البيضاوي: "(ويوم ينفخ في الصور) في الصور أو القرن وقيل إنه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش إذا نفخ في البوق (ففزع من في السماوات ومن في الأرض) من الهول، وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه." (الشيرازي الشافعي: VII، 60).

وتقول نسخة الشهاب: "وقوله في الصور بضم الصاد وفتح الواو جمع صور بناء على أن الصور بسكون الواو بمعناه والبوق بضم الباء وسكون الواو والقاف معرب بورى، وعلى هذا فهو استعارة تمثيلية شبه هيئة انبعاثهم من الصور إلى المحشر وقد نفخ في الصور بجيش نفخ لهم في المزمار المعروف فساروا إلى ما يريدون، وقوله من الهول أي هول النفخ أو هول المحشر." (الشيرازي الشافعي: VII، 60).

وقريب من هذا قوله سبحانه وتعالى: وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ} (الزمر: 68).

يقول البيضاوي: "(ونفخ في الصور) يعني المرة الأولى (فصعق من في السماوات ومن في الأرض) خر ميتًا أو مغشيًا عليه (إلا من شاء الله) قيل جبريل وميكائيل وإسرافيل فإنهم يموتون بعد، وقيل حملة العرش (ثم نفخ فيه أخرى) نفخة أخرى وهي تدل على أن المراد بالأولى ونفخ في الصور نفخة واحدة كما صرح في مواضع، وأخرى تحتمل النصب والرفع (فإذا هم قيام) قائمون من قبورهم ومتوقعون وقرئ بالنصب على أن الخبر (ينظرون) وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون أبصارهم في الجوانب كالمبهوتين أو ينتظرون ما يفعل بهم." (الشيرازي الشافعي: VII، 352).

وتقول نسخة الشهاب تعليقًا: "(قوله يعني المرة الأولى) يعني النفخة الأولى وقد اختلف في عدد النفخات فقيل هي ثلاث؛ نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة البعث وقيل هما نفختان ونفخة الفزع هي نفخة الصعق والأمران لازمان فيهم ففزعوا حتى ماتوا قال القرطبي في التذكرة والذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة أنهما نفختان لا ثلاث فالأولى يميت الله بها كل حي والثانية يحي الله بها كل ميت وقوله خرّ ميتًا وفي نسخة خروا وهي تحريف وقوله مغشيًا عليه في نسخة عليهم باعتبار معنى من وصعق يكون بمعنى مات وغشي عليه ولذا فسره المصنف رحمه الله بهما." (الشيرازي الشافعي: VII، 352).

ويقول القنوي: "ونفخ في الصور: أي إذا نُفخ في الصور لكن لتحقق وقوعه وعُبّر بالماضي. ويقول أيضًا: "قدر مضاف في الموضعين لأن سلاسة المعنى يقتضي ذلك لأن نفخ الصور نفسه ليس يوم الوعيد، وهو ظاهر وبعد تقدير الوقت فذلك الوقت، فذلك الوقت ليس وقت يوم الوعيد بل تحقق يوم الوعيد وقت إنجازه والاكتفاء بالوعيد لكونه أهم كما

اكتفى بالانذار في أكثر المواضع فلا يقال هذا مناسب لكون الخطاب للفاجر وهذا أولى من أن يقال واكتفى بالوعيد لمراعاة الفاصلة لأنه إذا كان الوعد مقدمًا يوجد الفاصلة أيضًا." (عمر 2001: XVI، 159).

فالآية الكريمة بدأت الحديث بالزمن الماضي (نفخ - صعق) ثم استكملت الحديث عن مشاهد يوم القيامة، وعلى الرغم من أن استخدام الزمن الماضي يأتي لتحقق وقوع الفعل ، إلا أن حاشية القنوي لجأت إلى التأويل بإضافة (إذا) لفهم المعنى وأنه في المستقبل، لأن (إذا) عندما تضاف إلى زمن الفعل الماضي تحول دلالته إلى التعبير عن المستقبل، ولأن هذا ما يفهم من معنى السياق، وهذا يحدث أيضًا في صيغة الماضي إذا جاءت في جملة الشرط.

ويقول تعالى في سورة الزمر أيضًا: {وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا} (الزمر: 71).

يقول تفسير البيضاوي: "(وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة) إسراعًا بهم إلى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم إذ لا يذهب بهم إلا راكبين (زمرًا) لتفاوت مراتبهم في الشرف وعلوّ الطبقة (حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها) حذف جواب إذا للدلالة على أن لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وأن أبواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئها منتظرين وقرأ الكوفيون فتحت بالتخفيف." (الشيرازي الشافعي: VII، 354).

وتقول نسخة الشهاب: "(قوله إسراعًا بهم إلى دار الكرامة) جواب عما يقال من أنه عبر عن ذهاب الفريقين بالسوق وهو مناسب في حق الجهنميين لما في السوق من الازعاج وإشعاره بالإهانة بأنه شتان ما بين السوقين فإن الأول لتعجيلهم إلى العقاب والآلام ها لاسراعهم إلى الإكرام واختير للمشاكلة وقوله إلى الجنة يدفع إيهام الإهانة مع أنه قد يقال إنهم لما أحبوا لقاء الله أحب الله لقاءهم فلذا حثوا على دخول دار كرامته ثم أجاب بجواب آخر اختاره الزمخشري بأن المراد هنا بسوقهم سوق دوابهم لأنه ورد في الحديث يحشر الناس على ثلاثة أصناف صنف مشاة وصنف ركبان وصنف يجرون على وجوههم والأول المخلطون والثاني المخلصون والثالث العصاة ومرضه لأنه لا قرينة في النظم عليه ولأن الحديث خصه بصنف وما هنا عام وقوله على تفاوت مراتبهم الخ فلذا جعلوا زمرًا وكذلك يدعون من أبواب متعددة ومنهم من يسرع ومن يكون كالبرق الخاطف إلى غير ذلك مما

ورد في الأحاديث (قوله حذف جواب إذا الخ) لأن الحذف يشعر بأنه لا ينحصر ولا يحيط به نطاق البيان والدلالة على تقدم الفتح لأنه جملة حالية بتقدير قد فهم جاؤها بعدما كانت مفتحة لهم كما يدل عليه مقارنته للمجئ والحال الماضية مشعرة بالتقدم واحتمال العطف الصادق بالمعية هنا مرجوح وهو كالممنوع في حكم البلاغة لأنه ورد في آية أخرى جنات عدن مفتحة لهم الأبواب والقرآن يفسر بعضه بعضًا ومخالفته لما قبله لفظًا تقتضي مخالفته معنى ولا يكون إلا بما ذكر إذ لو قصد المعية جعل جوابًا لأنه يفيده فالقول بأنه بالعطف يتم المرام من جملة الأوهام، (قوله منتظرين) حال وهو بصيغة المفعول أو الفاعل من فاعل المجيء أو فتح المقدر فالمعنى أن خزنة الجنان فتحوها ووقفوا منتظرين لهم أو هي فتحت قبل مجيئهم بصفة الانتظار وظاهر كلامه مشعر بأن الجواب مقدر هنا فيكون قوله وقال لهم الخ معطوفًا على الجواب والزمخشري قدره بعد قوله خالدين وكان المصنف خالفه لأنه يكون بعض الجواب مذكورًا وهذا أولى لكن ما ذكره الزمخشري أقوى بحسب المعنى لأنه إذا قدر هنا فازوا بما لا يعد ولا يحصى من التكريم والنعيم صار قوله وقال الخ مستغني عنه بخلاف ما إذا قدر بعده ولأن الظاهر أن هذه الجمل متعاطفة فالتقدير بينها خلاف الظاهر وهذا هو مراد السعد بقوله إذ عنده يتم الشرط بذكر المعطوفات فلا يرد عليه المنع كما قيل." (الشيرازي الشافعي: VII، 354-355).

على الرغم من طول الاقتباس إلا أن أهميته هنا تكمن في تتبعه لتفسير البيضاوي بالشرح والتوضيح، وكذلك توضح مقارنته - التي تظهر أحيانًا - بين كلام البيضاوي وكلام الزمخشري محاولته الترجيح بين الروايات في بعض الأوقات، بل والانتصار لرواية على أخرى في أوقات أخرى.

وتقول نسخة القنوي : "علي تفاوت أقدامهم الخ يساق المتبوعون أولا ثمّ التابعون ثانيًا." (عمر 2001: XVI، 582).

ونلاحظ أن حاشية القنوي قدم تفسيرًا من الناحية اللغوية لمعنى كلمة (سيق) حيث إن الكلمة تصور مشاهد يوم القيامة والجميع يساقون جماعات ويتقدمهم أكثرهم فجورًا ومعصية وهو (المتبوعون) ورغم محاولتهم التبرأ من متبعيهم إلا أن هذا لا يتفع يوم القيامة،

وهذا ما ظهر أيضًا في قوله تعال: {إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ}(البقرة: 166).

وقريب من هذا قوله تعالى: {ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ} (الحديد: 20).

يقول البيضاوي في تفسيره: "(اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد) لما ذكر حال الفريقين في الآخرة حقر أمور الدنيا أعني ما لا يتوصل به إلى الفوز الآجل بأن بين أنها أمور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لأنها لعب يتعب الناس فيه أنفسهم جدًا إتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به أنفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالأنساب أو تكاثر بالعدة والعدد ثم قرر ذلك بقوله (كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرًا ثم يكون حطامًا) وهو_تمثيل لها في سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات أنبته الغيث فاستوى أعجب به الحراث أو الكافرون بالله لأنهم أشد إعجابًا بزينة الدنيا ولأن المؤمن إذا رأى معجبًا انتقل فكره إلى قدرة صانعه فأعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما أحس به فيستغرق فيه إعجابًا ثم هاج أي يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطامًا ثم عظم أمور الآخرة الأبدية بقوله (وفي الآخرة عذاب شديد) تنفيرًا عن الانهماك في الدنيا وحثًا على ما يوجب كرامة العقبى ثم أكد ذلك بقوله (ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) أي لمن أقبل عليها ولم يطلب بها الآخرة." (الشيرازي الشافعي: VIII، 160).

وتقول نسخة الشهاب: "قوله (حقر أمور الدنيا) ليس المراد أن فيه مضافًا قبل الحياة الدنيا بل إن الحياة الدنيا عبارة عما فيها من الأمور وقوله أعني وفي نسخة وهي والمراد به تخصيص المحقر منها للنور المذكور لا يخفى ودخل فيه المباح وقوله بأن متعلق بحقر وقوله أمور خيالية الخ من قوله لهو ولعب فإن مثله مما يتلهى به وتشتغل بمثله الصبيان كذلك وقوله ثم قرر عطف على قوله حقر الخ والعدد بفتح العين الكثرة والعدد بضمها جمع عدة وهو ما يعد ويدخر ونحوه (قوله وهو تمثيل الخ) أي قوله كمثل الخ تمثيل

للحياة الدنيا وقوله في سرعة تقضيها السرعة مأخوذة من تشبيه جميع ما فيها من السنين الكثيرة بمدة نبت غيث واحد فإنه في أقل من سنة فلا وجه لما قيل الأولى طرح السرعة فإن ثم لا تناسبه (قوله أعجب به الحراث) جمع حارث ككافر وكفار وهو تفسير للكفار بالحراث لأنه يقال للحارث كافر بمعنى ساتر لستره ما بذره في الأرض وإنما فسره به لأن التخصيص بالكفار لا وجه له بحسب الظاهر." (الشيرازي الشافعي: VIII، 160).

ويقول القنوي في حاشيته: "ولذا قيل ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله معه وأبلغ منه ما قيل ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله قبله ثم هاج أشار إلى أن المضارع بمعنى الماضي بقرينة أعجب الكفار والأحسن أن يكون الماضي والمضارع للإستمرار إذ الحكم كذلك إلى يوم القيامة فاصفر معنى فتراه مصفرًا للتنبيه على ما ماضويته قوله ثم صار الخ معنى ثم يكون حطاما أي يكون بمعنى صار للإنتقال وقد عرفت أن ثم في الموضعين لا ينافي سرعة التقضي ولك أن تقول إن ثم فيهما للإستبعاد الحطام ما يبس وتكسر والهيجان بمعنى اليبس فهو أعم من الحطام ولذا ذكر أولا قوله {يهيج}ثم حطامًا." (عمر 2001: XVIII، 464).

فالفعلان (يهيج – يكون) جاءا للتعبير عن الزمن الماضي والمشهد كله لغوي بلاغي، حيث تم تصوير الحياة الدنيا ومشاهد يوم القيامة وما فيها من أهوال في آية واحدة، على أننا نلاحظ كيفية اتفاق واختلاف القنوي مع تفسير البيضاوي وحاشية الشهاب، فالمضارع هنا بمعنى الماضي لوجود قرينة لفظية موجودة في السياق اللغوي للأية الكريمة هي (أعجب الكفار).

ومن هذه الأمثلة قوله عز وجل: {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ} (الملك: 27).

يقول البيضاوي: "(فلما رأوه) أي الوعد فإنه بمعنى الموعود (زلفة) ذا زلفة أي قرب منهم (سيئت وجوه الذين كفروا) بأن علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب (وقيل هذا الذي كنتم به تدعون) به تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء أو تدعون أن لا بعث فهو من الدعوى." (الشيرازي الشافعي: VIII، 226).

وتقول نسخة الشهاب: "(قوله ذا زلفة) هو منصوب على الحال أو الظرفية وإنما يحتاج إلى التقدير إذا كان بمعنى القرب أما بمعنى القريب فلا وقوله بأن علتها الكآبة أي

ظهر عليها آثارها فإن الكآبة الغم والانكسار والحزن والضمير للوجوه وقوله ساءتها الخ إشارة إلى فاعله المقدر ولا يلزم أن يكون فاعلا حقيقيًا." (الشيرازي الشافعي: VIII، 226).

فالسياق في الآية الكريمة يعبر عن مشاهد يوم القيامة وعن المستقبل، إلا أن الأفعال جاءت في الزمن الماضي، وهذا من الدلالة العقلية، حيث إن هذه مشاهد يوم القيامة رغم أنها من الغيبيات إلا أن وقوعها مؤكد رغم أنها ليست مادية ولا من المحسوسات.

نستطيع أن نقول إن هذا البحث حاول الوقوف على ظاهرة مهمة من ظواهر اللغة العربية والتي كان لها أثرها الواضح في القرآن، فقد نزل القرآن الكريم بلغة عربية فظهرت فيه خصائص وسمات اللغة العربية، فتحول المعني الزمني في السياق القرآني إنما يثير انتباه المتلقي والقارئ ويحثه على محاولة إعادة فهم ما استشكل عليه لمتابعة جميع الأبعاد الدلالية للمعنى اللغوي في الآيات القرآنية.

كما أن الأمثلة السابقة تدل على أن الزمن في اللغة العربية متعدد وليس قاصرًا فقط على الأزمنة الثلاثة (الماضي – المضارع – الأمر) فالفعل الماضي قد يدل على الحال الواقع في الزمن الحاضر، كما قد يدل أحيانًا على ما يستقبل من الزمان وما سوف يحدث، كما يوجد مجموعة من الحروف والأدوات يمكن أن تدخل على الفعل فتغير دلالته الزمنية إلى دلالة زمنية أخرى، مما يدل على تعدد الزمن في اللغة العربية.

كذلك لم يقتصر الأمر على القرآن الكريم فقط، بل هو موجود أيضًا في كلام العرب وحديثهم وأشعارهم كقول الفرزدق:

كتبت وعجلت البرادة، إنني إذا حاجة طالبت عجت ركابها

ولي ببلاد الهند، عتد أميرها حوائج جمّات وعندي ثوابها

(الحاوي 1983: 144).

فكلمة (عجّلت) هي فعل ماض في بنائها على أنها جاءت في سياق حوّل دلالتها إلى زمن المضارع، وبالتالي نلاحظ تغير المعنى الزمني هنا.

وفي النهاية نستطيع أن نقول إن البحث قد توصل إلى مجموعة من النتائج.

النتائج

يهدف علم التفسير إلى معرفة كيفية نطق ألفاظ القرآن الكريم، ومعرفة دلالات كتاب الله تعالى وفهم آياته، وعلم النحو يهدف إلى بلوغ الفصاحة وفهم اللغة العربية والنطق بها. العلاقة بين علم النحو وعلم التفسير علاقة قديمة؛ حتى إن أكثر الروايات التي تكلمت عن نشأة علم النحو تُرجع سبب ذلك إلى اللحن في القرآن الكريم.

تفاعلت حاشية الشهاب مع تفسير البيضاوي بالاختلاف أحيانًا والاتفاق في أحيان أخرى. أحيانًا لا تعلّق حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي وتقدم تفسيرًا مختلفًا من وجهة نظر أخرى. اشتركت حاشية الشهاب مع حاشية القنوي في بعض التعليقات والحواشي والآراء، وفي بعض الأحيان تستكملان سويًا فهم ما صعب فهمه في تفسير البيضاوي.
جاءت أبرز مشاهد يوم القيامة في سياق الزمن الماضي، وقد أجمع المفسرين أن هذا لتأكيد وتحقق الوقوع.

نستطيع أن نفهم الأفعال الزمنية في الآيات القرآنية من خلال السياق اللغوي الذي جاءت فيه وليس من خلال المعنى المعجمي فحسب. تغير معنى الزمن اللغوي من خلال السياق القرآني أعطى معاني عديدة أبرزها التأكيد على وقوع الحدث، كما أن هذا التغيّر ساهم في رؤية مشاهد يوم القيامة في صورة المشاهد الحقيقية المؤكد وقوعها.

ساهمت حاشية الشهاب في توضيح تأثر البيضاوي بتفسير الزمخشري بين دفتي التفسير، كما أوضحت مخالفة البيضاوي للزمخشري في أوقات أخرى. إن مجموعة من الدراسات النحوية واللغوية حول تفسير القرآن الكريم من شأنها أن توضح بواطن ومعاني جليلة للغة العربية لغة القرآن الكريم.
الظواهر اللغوية النحوية تؤكد على تعدد إعجاز وبيان القرآن الكريم كما تؤكد على إمكانية التعدد في الدلالات والتعبير باللغة العربية.اللغة العربية غنية بالمفردات الدالة على الزمن، فالفعل الواحد قد يأتي للدلالة على أكثر من زمن تبعًا للسياق الذي جاء فيه.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

ابن جني (د.ت.). الخصائص، (تحقيق: محمد علي النجار). بيروت، دار الهدى للطباعة والنشر.

ابن منظور (2010). لسان العرب، ط 3، I-XV. بيروت، دار صادر

الأنباري، أبو بركات عبد الرحمن بن محمد (2003). نزهة الألباب في طبقات الأدباء، (ت: محمد أبو الفضل إبراهيم). ط 1، بيروت، المكتبة العصرية.

الجرجاني، علي بن محمد الشريف (1990). كتاب التعريفات، بيروت، مكتبة لبنان.

الزرقاني، محمد عبد العظيم (1998). مناهل العرفان في علوم القرآن، I-II. بيروت، دار قتيبة.

الزركشي، بدر الدين (2004). البرهان في علوم القرآن، (ت: محمد أبو الفضل إبراهيم). I-IV. القاهرة، المكتبة العصرية.

السراري، أبي بكر (2002). مختار الصحاح، بيروت، دار الكتاب العربي.

السعيد، عبد الستار فتح الله (1991). المدخل على التفسير الموضوعي، ط 2، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإعلامية.

السيرافي، الحسن بن عبد الله (1985). أخبار النحويين والبصريين، (ت: محمد إبراهيم البنا). القاهرة، دار الاعتصام.

الشيرازي الشافعي، ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد (د.ت.). أنوار التنزيل وأسرار التأويل عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، I-VIII. بيروت، دار صادر.

آبادي، الفيروز (2003). القاموس المحيط، ط. 7، بيروت، مؤسسة الرسالة.

الحاوي، إيليا (1983). شرح ديوان الفرزدق، ط1، بيروت، دار الكتاب اللبناني.

حسان، تمام (1994). اللغة العربية مبناها ومعناها، الدار البيضاء، دار الثقافة.

عمر، عبد الله محمود محمد (2001). حاشية القنوي علي تفسير الإمام البيضاوي، ط 1، I-XX. بيروت، دار الكتب العلمية.

محمد بن يوسف، أبو حيان (1992). البحر المحيط، I-VIII. بيروت، دار الفكر.